



بعض الحيوانات تسببت إذا جاء الشتاء، أي أنها تدخل في سبات (مستمر أو متقطع) خلال أشهر البرد، فإذا حلّ الربيع استيقظت وعادت إلى الحياة، كالدببة والسناجب والسلاحي والسلاحف والثعابين. الثورة السورية عرّفتنا بأصناف أخرى من الحيوانات ذات سبات عشوائي غير منظم.

وهي فصيلة غريبة من المخلوقات تسمى أحياناً "عروبيين" وأحياناً أخرى "قوميين" أو "وطنيين ممانعين ومقاومين". هذه المخلوقات تمضي في سباتها شهوراً متعاقبة يُباد فيها السوريون ويُقتلون بأنواع الأسلحة جمِيعاً، من الرصاصية والسكين إلى القنبلة الفراغية والكيماوية، ويبلغ من ثقل نومها أنها لا يوْقظها صرخُ الأطفال ونحيب الأيامى الثاكلات، ولا أصوات الموت والقصف والدمار...

فإذا تعرض وللها ولها ومولدها إلى الخطر استيقظت فجأة وهبَّت من رُقادها أشدّ نشاطاً من بعير هائج أفلت من عقال!

هؤلاء "العروبيون" خرقوا آذاننا وهم يصرخون مستنكرين، يعارضون الضربة الأمريكية ويُنوحون على النظام العربي المقاوم المماني! فإذا أنكرنا عليهم شفقتهم على النظام المجرم قالوا: ألسْتم مثنا؟  
**نحن نعارض الضربة ونستنكرها وأنتم تعارضون ونستنكرنون.**

نقول لهم: بئس موقف يضعنا في صعيد واحد نحن وأنتم، ولئن بدا لكم شَيْءٌ في الموقفين فإنه شَيْءٌ كاذب خداع منقوص.

**بماذا نختلف عن العروبيين المزيفين، أعداء الأمة وأعداء الحرية وأعداء الدين؟**

إن رؤيتنا لعلاقة الغرب بالنظام وللنزاع بين الاثنين تختلف عن رؤيتهم من ثلاثة وجوه.

**الأول:** يقولون إن النظام السوري وطني مقاوم، بمعنى أنه يقاوم المشروع الصهيوني الاستعماري، ونقول لهم: بل إنه جزء أصيل من ذلك المشروع، وهو شرٌّ من كل عدو وأشدُّ بلاء على المسلمين من اليهود والصلبيين، أما مقاومته المزعومة فقد شُفيت عقول العقلاة جميعاً من الإصابة بها ولم يبقَ ثابتاً على تصديقها إلا السفهاء والمغفلون.

**الثاني:** يقولون إن الضربة الأميركيّة ستدمّر البلد.

نقول: هذا صحيح، ولكن أين كانت هذه الرحمة الكاذبة وهذا الحرص المنافق خلال عامين مضيّاً ونصف عام؟

**وهل يقي في سوريا شيء لم يدمّره النظام؟**

إن كانت بقيّة بقية لم يدمّرها بعد فإنه لن يتركنا حتى يفعل، فما على ما يُهدم نأسى ولكن على من يموت، فالحجر إذا هدم يُبني ولكن الميت إذا مات لا يعود.

الوجه الثالث هو الأهم، فإنهم يرون أن المواجهة (المزعومة) بين النظام والغرب مواجهةٌ بين حقٍّ وباطلٍ، لأنهم يقولون إن الولايات المتحدة عدوة للعرب فلا بد أن يكون عدوها من الوطنيين الصالحين.

وهذا الوهم مردود من جذرٍ، لأن أميركا لم تعارض النظام السوري قط، ولقد رَعَتْه على عينها مُذْ كان وبسطت له اليد بالدعم والحماية والرعاية، فلم يلقَ منها إلا ما يلقى مثله الولدُ المدلل من الأم الحنون. لا، ليس الأمر نزاعاً بين حقٍّ وباطلٍ أبداً، إنما هو نزاعٌ بين باطلين.

\* \* \*

سيقولون: وكيف تنتظرون إلى العدوان الأميركي على سوريا، وما موقفكم من الضربة الأميركيّة المحتملة عليها؟

**الجواب سهلٌ قريبٌ:**

نحن بريئنا من مرض الاعتماد على الآخرين منذ دهر، فاتكلنا على الله مولانا أولاً، ثم اعتمدنا على أنفسنا وخرجنا نطلب حقنا بأيدينا، بلا انتظارٍ إذنٍ ولا ترقبٍ دعماً من أحدٍ من الخلق.

ونحن نؤمن بأن النظام السوري عدو أثيم وأن أميركا عدو لئيم، وأنهما كلاهما من الظالمين المُبْطَلِين، وأن الله لا يصلح عمل المُبْطَلِين، ولكننا نؤمن أيضاً بأن الله يمكن أن ينصر دينه وأولياءه بالفَجْرَةِ الْكَفَرَةِ وأن يضرب الظالمين بالظالمين. أخرج البخاري عن أبي هريرة وأنس عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: "إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر"، وفي رواية صحيحة مشهورة عن قوم من الصحابة: "بِقَوْمٍ لَا خَلَقَ لَهُمْ"، وفي رواية عن عبد الله بن عمرو في مجمع الزوائد: "بِرِجَالٍ مَا هُمْ مِنْ أَهْلِهِ".

ورُوي عن السلف الصالح أنهم كانوا يدعون فيقولون: "اللهم أشغل الظالمين بالظالمين وأخرجنا من بينهم سالمين". وقد ورد في الخبر أن "الظالم سيف الله في الأرض، ينتقم به ثم ينتقم منه".

هذا المعنى صالح وإن لم يردْ فيه نص صحيح، ويُسْتَأْنَسُ فيه بأثر أورده ملاً على القاري والزرκشي في الموضوعات: "إن الله ليضرب الظالم بالظالم"، ويُسْتَأْنَسُ أيضاً في تأكيد هذا المعنى بحديث جابر الذي أخرجه الطبراني في الأوسط والهيثمي في مجمع الزوائد (وضعفه أصحاب الحديث): "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: إِنِّي لَأَنْتَقُ مَمْنَ أَبْغَضُ بَمَنْ أَبْغَضَ، ثُمَّ أَصِيرُ كُلَّا إِلَى النَّارِ".

وهذا المعنى متحقق في قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ نُؤْلَى بَعْضَ الظَّالَمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}.

سرد الطبراني في تفسيره بعض تأويلات الآية ثم ذكر من معانيها: "تسلط بعض الظلمة على بعض". ونقل الإمام القرطبي عن

ابن زيد في معناها: "نَسْلَطَ الظَّالِمَ عَلَى الظَّالِمِ فِيهِ لَكَ وَيَذَلَّ".

\* \* \*

### الخلاصة:

إن النظام السوري عدو كبير، ولكن الولايات المتحدة الأميركيّة هي عدو الأمة الأكبر، وهي لا تغلق بابَ شرّ إلا لفتح غيره، فإذا طوت اليوم سجل حكم الأسد في سوريا فإنما تفتح سجلًّا جديداً في كتاب الاستعمار والاستعباد وال الحرب على الأمة والدين، وهي لا تزال معنا كما قال العباس بن الأحنف في صاحبته:

سَلَّبْتِي مِنِ السُّرُورِ ثَيَابًا \*\*\* وَكَسْتَنِي مِنِ الْهَمُومِ ثَيَابًا  
كَلَمَا أَغْلَقْتُ مِنِ الْوَصْلِ بَابًا \*\*\* فَتَحَّتْ لِي إِلَى الْمَنَّةِ بَابًا

لذلك فإن موقفنا من أي ضربة يمكن أن تضرب بها النظام السوري يتلخص في ثلاثة مسائل: الأولى: نحن نؤمن بأن الله لا يقضى لهذه الأمة إلا خيراً، ونعلم أن الله يمكن أن يؤيدنا بالفاجر الكافر، وأنه إذا قضى أن يضرب ظالماً بظالم فإن قضاءه لا يُرَدّ. ومع هذا اليقين فإن ميزاننا لا يضطرب ولا نضل، فنعلم أن أميركا عدو حقيقي لنا، فهي لم تُرِدْ لنا قطّ خيراً ولا تُريد لنا اليوم أي خير، بل تُريد لنا الشر كما أرادته على الدوام.

الثانية: يتبع ذلك أن لا نغفل عن الخطر الكامن الذي سينشأ من تدخل عدو جديد في معركتنا التي نخوضها مع العدو القديم. وبما أن المؤمن كيس فَطَنَ فإن علينا أن نتصور الأخطار المتوقعة، فنستعد لكل طارئ ونفتح أعيننا حتى لا نُخدع ولا نصاب، وحتى لا يصل إلينا شيء من أذى العدو الأميركي الغدار المكار.

الثالثة: مهما يكن أثر الضربة في عدونا فإننا نعلم أن الإنجاز الحقيقي هو الذي نصنعه بأنفسنا في الميدان، لذلك فإننا لم ننتظر أن يقاتل أحدٌ بنيابة عنا، بل بدأنا معركتنا مع عدونا بأنفسنا، ونحن ماضون في ثورتنا سواء أضرَّبَ النظام أم لم يُضرَّب.

لقد قطعنا الجزء الأطول من الطريق وحدنا، وسوف نكمل وحدنا ما يبقى من الطريق.

\* \* \*

و قبل ذلك وبعده يبقى يقيننا الراسخ بأن سلاحنا الذي نقاتل به عدونا والسلاح الذي يضرره به غيرنا ليس سوى أدوات تتحرك بأمر الله وبقدرته، وأن الناصر على التحقيق هو الله رب العالمين، فلا تتعلق قلوبنا إلا به ولا نرجو النصر الحقيقي إلا منه.

فلننصل على الحق، ولننصل طريق الجهاد، ولنتوقف عن ترقب النصر من أرباب الأرض ولا نترقبه إلا من رب السماء.

الزلزال السوري

المصادر: